نظام التقويم في الإسلام

المقصد الوحيد من هذه الرسالة هو :

* توحيد الأيام فى مناسك عالم الاسلام *

رسالة فيها بيان آيات الكتاب الكريم التى نزلت فى نظام التوقيت والتقويم . اقتطفها مؤلفها واجتباها من كتابه : « لم اعتبر الشرع الرؤية ؟ » الذى نشره مؤلفه سنة ١٣٢٦ الهجرية .

والمؤلف يقدم سلفاً خالص شكره لكل أستاذ أو طالب سيهدى اليه صغيرة أو كبيرة من خطأ وقع منه فى الكتاب ، ويهديه فيه الى وجه الصواب .

ابن فاطمه

مطبعة التضامن الاخوى لصاحبها حافظ محمد داود

نظام التقويم في الإسلام

* * *

رسالة فيها بيان آيات الكتاب الكريم التي نزلت في نظام التوقيت والتقويم . اقتطفها مؤلفها واجتباها من كتابه : « لم أعتبر الشرع الرؤية ؟ » الذي نشره مؤلفه سنة ١٣٢٦ الهجرية .

والمؤلف يقدم سلفاً خالص شكره
لكل أستاذ أو طالب سيهدي اليه صغيرة
أو كبيرة من خطأ وقع منه في الكتاب ،
ويهديه فيه الى وجه الصواب .

ابن فاطمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى . وصلى الله على سيدهم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولى . رب ، انى لما أنزلت الى من خير فقير .

كنت فى سابق الأيام كتبت كتاباً فى « نظام التقويم عند الاسلام » سميته « لم اعتبر الشرع الرؤية ؟ » وطبعته فى سنة ١٣٢٦ الهجرية . أجملت فيه التقاويم المعروفة ونظامها . واهتديت به الى أن بينت أن تقويم الاسلام أسهل تقويم وأضبط تقويم وأصوب تقويم اهتدى اليه البشر فى كل العصور السابقة .

وكان أصل مقصدى من تأليف الكتاب ومن نشره أن أثبت أن نظام الأهلة وبناءه على الرؤية ليس مبنى على أمية الأمة وليس بناشىء من كون الأمة لا تكتب ولا تحسب . لأن نظام الأهلة قديم . والذى وضعه هو الذى له غيب السماوات والأرض على حسب عقيدة الاسلام وبيان القرآن . فلا يمكن أن يكون مبنياً على تجهيل الأمة ولا يمكن أن يكون مؤدياً الى إنكار الحساب الذى قدره العزيز العليم الذى فطر السماوات والارض .

بل نظام الأهلة واعتبار الرؤية مبنى : (١) على سهولته (٢) على انه لا يدخله خطأ وان دخل فلا يدوم ، يتداركه نفس النظام . (٣) على أن كل نظام سواه لا ينجو من خطأ أصلاً أبداً . ولم يهتد البشر فى التقويم الى نظام نجا من خطأ سوى نظام الأهلة . وكان فى كتابى هذا بيان معنى النسىء وتفصيل نظم النسىء بمناسبة ذكره فى القرآن الكريم . وكان فيه تاريخ موجز لحياة النبى ﷺ مع تعيين أيامها فى صدد تعيين مبدأ للتاريخ الاسلامى .

ثم أحببت أن أترجم الكتاب . فجعلتها فى ثلاثة أجزاء :

(١) أيام حياة النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . (٢) نظام التقويم فى الاسلام . (٣) نظام النسىء عند العرب قبل الاسلام .

وهذا هو الجزء الثانى من ترجمة الكتاب : « لم اعتبر الشرع الرؤية » .

(١) أصل التاريخ ؟

لم أر فى معاجم اللغة أصلا يشتق منه كلمة التاريخ ومشتقاتها . ولأهل اللغة فى أصله أقوال لاتسمن ولا تغنى . فقد قيل ان التاريخ قلب التأخير ، وقيل انه معرب ماه روز .

وإذ رأيت أن قواميس اللغة لم تأت بشىء يطمئن به القلب ويسكن اليه العلم فقد رأيت مجالاً له سعة فقلت ان كلمة التاريخ فى اللغة العربية مولدة من كلمة ياروخ فى اللغة العبرية . ومعناها فيها هو القمر . والقمر فى اللغة التركية اسمه ياروق . ومعنى الاسم هو المنير المضىء . استعارته اليهود من الاتراك كما استعارت اسم التوراة من «توره» فجد التاريخ تركى هاجر من وطنه الى أدب العرب من طريق اللغة العبرية . فلذا لم يجىء لا فى القرآن ولا فى لسان النبى صلى الله عليه وسلم .

« قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما . أتبعه . ان كنتم صادقين (٢٨ ـ ٤٩) .

والتاريخ معناه « بيان زمن حادث بقياسه الى مبدأ معين متخذ معلوم فى جواب متى ؟ » . فان سأل سائل : « متى فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة ؟ » .

فقولنا : « يوم الاثنين سابع عشر من رمضان السنة الثامنة من الهجرة فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة . » هو التاريخ .

بينا : (١) يوم الفتح (٢) شهر الفتح (٣) سنة الفتح من مبدأ يوم الهجرة .

فالتاريخ هو بيان زمن حادث يقع فى جواب متى . عربيته : (١) الوقت . (٢) التوقيت . (٣) التحديد . (٤) التقدير .

أما التقويم فهو اقامة حادث فى زمانه مثل اقامة شىء فى مكانه . والعرف اختص الزمان بأحد البابين والمكان بالآخر .

(٢) بيان الازمان والاوقات

وبيان الاوقات مثل بيان الاعداد له أربع درجات : (١) الساعات . (٢) الايام

(٣) الشهور (٤) السنون . مثل (١) الآحاد ، (٢) العشرات (٣) المئات ، (٤) الآلاف

(٣) الأيام .

لم تختلف الأمم فى تقدير الأيام . لأنها بنورها وظلامها طبيعية معلومة بالضرورة ، وان كان لهم اختلاف فى مبادىء الأيام : (١) من غروب الى غروب ؛ (٢) من طلوع إلى طلوع ، (٣) من استواء الى استواء .

والمبادىء كلها أمور اعتبارية . لكل أمة بل لكل أحد أن يختار ما شاء من أى مبدأ كان .

والمنطقة ، إذا كانت حركة فلكها رحوية ، فتقدير الأيام عند أهلها بالدورة . ولا تختلف الدورة باختلاف الآفاق والمناطق . وهم أهدى الناس فى تقدير الأيام . تعودت طبيعتهم على تقديرها ببدايتها ونهايتها . وعند صحو السماء فالقطب وحوافه من حوله أظهر علامة فى التقدير . والسنة عندهم مثل اليوم عندنا معلومة بطلوع الشمس وغروبها .

(٤) الشهور والسنون .

وللأمم فى حساب شهورهم وسنيهم عوائد واصطلاحات كلها صحيحة كافية وافية . ولكل أمة فيها خيار واختيار . لم يكلف شرع أمة بشىء منها : بل تركها فيها مختارة .

(١) الشهر طبيعى والسنة طبيعية .

الشهر طبيعى بأوضاع القمر : من بدر إلى بدر ؛ من هلال إلى هلال مثلا . والسنة طبيعية بسير الشمس وفصولها : من شتاء إلى شتاء ، من ربيع إلى ربيع مثلا. وفيه سلك قدماء الترك فى أدوارهم الاثنى عشرية .

(٢) الشهر عددى اصطلاحى بالأيام ، والسنة عددية اصطلاحية بالأيام .

الشهر ثلاثون يوماً أو أقل ، أو أزيد ، والسنة اثنا عشر شهراً بأيامها .

عليها النصارى اليوم ، وعليها كانت الروم وكثير من الأمم .

وعليه يجرى اليوم أهل الحساب فى ترتيب جداول السنين الهجرية . والشهر عندهم ثلاثون أو تسع وعشرون يوماً . والسنة عندهم ٣٥٤ أو ٣٥٥ يوماً. لا بأس فيه ، ان لم يبن عليه وجوب الصيام فى أول رمضان ، أو وجوب الافطار

فى أول شوال ، أو لم يحكم بفوات عرفة فى عاشر ذى الحجة على حسابهم .

(٣) الشهر عددى اصطلاحى بالأيام ؛ والسنة طبيعية بالفصول وسير الشمس ، على هذا جرى الصابئة ، وعليه كان الفرس ، وعليه بنى نظام التقويم الجلالى ، وعليه يجرى نظام التقويم الايرانى ونظام التقويم الافغانى فى السنة الشمسية الاسلامية اليوم

وينبغى أن ينبنى عليه نظام التقويم الهجرى الشمسى لكل الدول والأمم الاسلامية . يلزم أن يجعل يوم الهجرة مبدأً للتاريخ الاسلامى ؛ ويحسن ويناسب أن يجعل يوم الاعتدال الخريفى أول يوم للسنة الاسلامية

(٤) الشهر طبيعى ؛ والسنة عددية اصطلاحية

الشهر طبيعى بالأهلة ، والسنة عددية : اثنا عشر شهراً ٣٥٤ يوماً أو ٣٥٥ يوماً

هذه هى السُنة الاسلامية فى السنة القمرية .

ولا يعتبر شرعاً إلا هذه السنة القمرية فى أمور : (١) فى أشهر الحج ومناسكه (٢) فى صيام رمضان وافطاره ، (٣) فى عدة النساء . فى هذه الأمور الثلاثة لا يعتبر الا السنة القمرية على نظام الأهلة . والتزم بعض أهل العلم تسع عشرة سنة قمرية فى بلوغ الرجل مبلغ النكاح

(٥) نظام الاسلام أقوم نظام ؟

قلنا : إن الشهر طبيعى ، والسنة القمرية عددية فى حكم الاسلام . وهذا النظام أسهل وأصوب من كل نظام إهتدى إليه البشر فى تقدير الاوقات وتوقيت الاحوال .

وبيان هذه الدعوى ينبنى على أمور :

(١) ان اليوم لا يعد المقدار الحقيقى للشهر - ومقدار الشهر الحقيقى أو الاصطلاحى لا يعد المقدار الحقيقى للسنة . فاتخاذ كل من اليوم والشهر والسنة بمقداره الطبيعى لا يمكن فى الحساب العادى .

(٢) السنة ، شمسية كانت أو قمرية ، ليس لها مبدأ تبدو علامته على وجه السماء لكل ذى عين بالسهولة . والشهر له من أوضاع القمر علامات على وجه السماء ظاهرة جلية ، يراها كل ذى عين . وأظهرها وأشهرها وأعجبها هو الهلال

(٣) السنون والأعوام اذا توالت وكثرت فاعتبارها طبيعية غير متيسر .

لابد للسنين من عدد . أما الشهور فبدؤها طبيعى ظاهر لكل أحد ، وعددها لا يزيد على اثنى عشر . فان وقع فى شهر خطأ فانه لا يمكن دوامه ولا يمكن خفاؤه بل يتداركه الشهر الآخر بالطبع وبالضرورة .

أما السنون فان وقع فيها خطأ أو تراكم فلا يمكن تداركها بأمر ظاهر طبيعى ، وتبقى إلى الابد . ولم يدرك البشر إلى هذا اليوم نظام تقويم خلص ونجا من خطأ .

فلهذه الامور الثلاثة الأساسية القطعية اعتبر الشارع الكريم العليم الشهر طبيعياً بالأهلة واعتبر السنة بالشهور عددية . السنة القمرية ١٢ شهراً قمرياً لانها أقرب عدد سهل ظاهر للسنة الشمسية بفصولها . ولأن للسنة القمرية أدواراً منتظمة ينطبق فيها كل شهر قمرى على كل فصل شمسى من فصول السنة الشمسية . وجعل الشارع شهور السنة اثنى عشر شهراً على عدد البروج التى تكمل بدور الشمس فيها سنة شمسية طبيعية . واذا دار القمر فيها بعددها كمل دورته السنوية .

ونحن ، أهل الاسلام ، نقول ، والقلب منشرح بنوره فرح بهداه : إن نظام التقويم فى الاسلام ، واعتبار الاهلة فى أساس التقويم مبنى على الحقائق الفلكية وليس مبنى على رعاية حال الامة ؛ ولا على أن الامة أمة أمية ، لا تكتب ولا تحسب ، بل الذى جاءت به الشريعة المعصومة العاصمة : (١) أسهل التقاويم ، (٢) أبين التقاويم ، (٣) أصوب التقاويم ، (٤) أبعد التقاويم من كل اضطراب ومن كل خطأ مستمر .

والاهلة مرئية بالابصار . وأصح معلوم ما يشاهده الابصار . والمبدأ فى نظام الاسلام معلوم محدود بأمر بين ظاهر يشترك فيه جميع الناس . أما الاجتماع اجتماع الشمس والقمر أو كون الشمس فى برج من البروج فالكل أمر خفى لا يدركه الا أفراد ، ولا يشاهده أبداً أحد .

وليس يوجد على وجه السماء مبدأ يراه كل أحد الا الهلال .

(٦) آيات الكتاب الكريم
فى نظام التقويم ؟

آيات القرآن الكريم فى نظام التقويم عبارات نصوص محكمة نزلت فى بيان نظام الاسلام ، وسيقت مساق بيان النظام .

(١) « يسألونك عن الاهلة . قل هى مواقيت للناس والحج . » (٢-١٨٩) ،

والميقات حد لوقت قدر لعمل من الاعمال . فالاهلة مبادىء الشهور ، والشهور أوقات محدودة مقدرة لأعمال الناس . عادية كانت الاعمال أو دينية .

(٢) « هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . » « ماخلق الله ذلك الا بالحق . » (١٠ ـ ٥) .

فى هذه الآية الكريمة الفعلان : جعل وقدره . والتعليل والتأجيل واحد . فتدل الآية على أن كلا من الشمس والقمر معتبر فى عدد السنين والحساب ، وان عدد الشهور فى السنة وعدد السنة بعد السنة أصله وأساسه تقدير القمر منازل .

ونظير الشهر والسنة اليوم والاسبوع . فان الشهر طبيعى مثل اليوم . والسنة عددية مثل الاسبوع . والشهر والسنة على حسب القمر . واليوم ، ثم من الايام الاسبوع بسبب الشمس . فوقع التعديل على وجه أعدل .

(٣) « وجعلنا الليل والنهار آيتين . فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة . لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب » . (١٧ ـ ١٢) .

الليل مثل النهار آية . الا أن الليل فى اعتبار الكتاب الكريم مقدم . ومحا الله آية الليل وجعلها سوداء لانور لها . وجعل آية النهار مبصرة . من نورها النهار .

نبتغى فى الليل فضلا من الله جل جلاله هو الاستراحة . ونبتغى فى النهار فضلا من الله هو السعى والحركة ، والكسب والبركة .

وكل من آيتى الليل والنهار نعلم به عدد السنين ونعلم به الشهور وحسابها . والحساب بحكم الكتاب الكريم معتبر مثل اعتبار الاهلة ، ومثل اعتبار الرؤية .

وينبغى للطالب أن يتنبه على أن العدد لم يذكر الا بالاضافة الى السنين ، وان الحساب لم يذكر الا بدون اضافة . لان الحساب فى الاوقات يكون للساعات فتكون أياماً . ويكون للأيام فتكون شهوراً ثم يكون للشهور فتكون سنة . والسنة فى حساب التاريخ ليس لها الا عددها . ولم يوجد فى لغة من لغات الامم واحد قياسى أعظم من السنة ، يعد به العصور والادوار . والعصر والقرن والدور فى الازمان اصطلاح مستحدث .

وحساب الاوقات أربعة : (١) ساعات (٢) أيام ، (٣) شهور (٤) سنون .

مثل حساب الاعداد : (١) آحاد ، (٢) عشرات ، (٣) مئات ، (٤) آلاف .

وما فوق هذه الاربعة فى الاوقات والاعداد فاضعاف متكررة .

(٤) « وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » (٢٢ ـ ٤٧) .
(٥) « ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » (٣٢ ـ ٥) .
(٦) « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (٧٥ ـ ٤) .

لو كان فى تقدير الازمان واحد قياسى أعظم من السنة لذكره القرآن الكريم .

(٧) « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق الله السماوات والارض . « منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم . فلا تظلموا فيهن أنفسكم . وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة . » (٩ ـ ٣٢)

عدة الشهور فى السنة اثنا عشر شهراً ، وهذا النظام عند البشر قديم ، وضعه الله فى كتابه يوم خلق الله السماوات والارض ، منها أربعة حرم على التعيين . لا يؤخر حرمة شهر إلى آخر . ذلك النظام لاغيره هو الدين القيم ، وهو لاغيره هو النظام القويم المستقيم ، وزيادة شهر فى السنة أو زيادة أيام فى الشهور باطل معوج مردود .

(٧) هل بقى فى شرع الاسلام الشهر الحرام ؟

والحرمة فى الشهور حرمة ذاتية ، وحرمة الحقوق حرمة ثابتة فى نفسها فى كل وقت وفى كل شهر . والاعتداء على الحقوق حرام فى ذاته ، فى الاشهر الحرم الاربعة وفى غيرها على حد سواء . وعقيدة الجاهلية فى الاشهر الحرم وفى اباحة حقوق الناس فى غيرها قد وضعها عدل الاسلام تحت قدميه .

والجهاد إذا وجب بسبب من الاسباب فلا حرمة لشهر بالنسبة إلى جهاد الاسلام . والله جل جلاله فى هذه الآية من الكتاب الكريم يقول : (منها أربعة حرم . فلا تظلموا فيهن أنفسكم» بالامتناع من القتال إذا وجب . «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» فلا أثر للحرمة فى منع الجهاد إذا وجب .

وقد غزا النبى بعض غزواته فى مستهل المحرم ، وقد حاصر فى الأشهر الحرم .

وقول الله جل جلاله «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير . » نزل جواباً فى قتال العرب اعتداء .

وقتال الاعتداء حرام كبير فى الشهر الحرام وغيره . وقوله جل جلاله